المشاكلة في الدرس البلاغي العربي القديم

الأستاذة سهام صياد

جامعة الأمير عبد القادر/الجزائر

تشير المتابعة البلاغية لمصطلح المشاكلة إلى أن هذا الفن البديعي لم يستوفنا قائما بذاته مستقلا عن غيره من الفنون البديعية الأخرى ،إلا عند بعض البلاغيين المتأخرين الذين تفطنوا إلى ما فيه من خصوصية تميزه عن غيره، فيما ذهب البعض الآخر إلى الزّج به في ألوان كثيرة يقترب من بعضها، وينفر من بعضها الآخر، ويتقاطع مع أخر؛ كالمزاوجة والجناس، والتصدير أورد أعجاز الكلام على صدورها، ومراعاة النظير والترديد والتعطف... الخ وسنبين الفروق الدقيقة بين بعض هذه الألوان والمشاكلة، وعلة اللبس فيما بينها في مكانه من البحث.

تأخرت تسمية المشاكلة بهذا الاسم إلى القرن (4هـ)، وبالتحديد –كما تقولُ بعض المراجع(*)- مع أبي علي الفارسي (377هـ) الذي يعزى إليه إطلاق مصطلح المشاكلة على هذا النوع ، الذي يأخذ فيه اللفظ سمت اللفظ الذي سبقه بالرغم من اختلاف المعنى، وذلك لمجرد وقوعه في صحبته. أو كما يعرفه السكاكي –لاحقا- بأنّه: «ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أ وتقديرا»(i)، فقد ذكر صاحب الحجة ما ذهب إليه أبو عبيدة (210هـ) في تفسيره للفظة "يخادعونَ في قوله تعالى: "يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون" (البقرة /9) يقول :" ...وفيما أنشده أبو زيد دلالة على صحة تفسير أبي عبيدة أن يخادعون : يخدعون، ألا ترى أن المنية لا يكون منها خداع، كما لا يكون من الله سبحانه ولا من رسوله، فكذلك قوله: " وما يخدعون إلا أنفسهم " يكون لفظ فاعل، وإن لم يكن الفعل إلا من واحد كما كان الأول كذلك، وإذا كانوا قد استجازوا لتشاكل الألفاظ وتشابهها أن يجروا على الثاني طلبا للتشاكل ما لا يصح في المعنى على الحقيقة، فإن يلزم ذلك ويحافظ عليه فيما يصح في المعنى أجدر وأولى

...وقوله " فيسخرون منهم سخر الله منهم" (التوبة /80) ونحو ذلك فأن يلزم التشاكل في اللفظ مع صحة المعنى أولى ومما يؤكد ذلك قوله : (من العين والحير) ،كسر الحاء إتباعا للعين وقول تأبط شرا : ليس بعلوف تلفه هوف

وقد جاء هذا المثال للفاعل الواحد نحو :عاقبت اللص، وطارقت النعل ...»(ii). يقول أبو عبيدة إن المراد من "يخادعون "في قوله تعالى :"يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاأنفسهم وما يشعرون" ، بأنه من «...يفاعلون وفاعلت فعل من اثنين، وربما جاء الواحد كقولهم: طارقت النعل... وعافاك الله من ذلك.ومن ذلك: قاتلهم الله ، ويخادعون بمعنى يخدعون..» (iii)،

مع العلم أن بعض البلاغيين قد استعمل لفظة المشاكلة بمفهومها اللغوي، وهو المماثلة والموافقة، لكن دون أية إشارة إلى هذا اللون من التعبير، كما يتبين ذلك فيما أورده الجاحظ (255هـ) من كلام بشر ابن المعتمر (210 هـ) في صحيفته التي أوصى فيها من يتقدم إلى قرض الشعر بمراعاة جملة من المسائل من بينها: أن يتجنب التكلف والتصنع، فلا يكره كما قال: «...اللفظة على اغتصاب أماكنها، والنزول بها في غير أوطانها مما يجعلها قلقة نافرة»(iv)، وإذا كان لا بد متكلفا فعليه أن يتحول إلى صناعة أخرى تشتهيها نفسه وتميل إليها: «...فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك، وأخفها عليك، فإنك لم تشتهه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب، والشيء لا يحن إلا إلى ما يشاكله، وإن كان المشاكلة قد تكون في طبقات لأنّ النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة، كما تجود مع الشهوة والمحبة فهذا وهذا...»(v)، وقد جاء في كلام الجاحظ أيضا في كتاب العصا، قوله: «هذا أبقاك الله، وما شابه من غرر

الأحاديث، وشاكله من عيون الخطب ومن النقر المستحسنة، والنتف المستخرجة...»(vi)

كما استعمل المبرّد(285هـ) لفظة المشاكلة فيما يتحقق من الإئتلاف والتآلف بين الألفاظ، وذلك في تعليقه على بيت الكميت بن يزيد الذي يقول فيه:

وقد رأينا بها حورا منعمة بيضا تكامل فيها الدّل والشنب

«...قبيح جدا وذلك أن الكلام لم يجر على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها.

وأوّل ما يحتاج إليه أن يُنظم على نسق، وأن يوضع على اسم المشاكلة»(vii).

وأما ابن طباطبا (322هـ) فانه يسبق عصره ويستعمل لفظة المشاكلة والتشاكل بمعناها المعاصر اليوم وهو الاتساق الداخلي للنص(viii) يقول : "وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتسلل كلامه فيها ،ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه السامع المعنى الذي يسوق القول إليه كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت فلا يباعد كلمة عن أختها ،ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها ،ويتفقد كل مصراع هل يشاكل ما قبله(ix) ويستشهد ببيتي امرئ القيس اللذين أثارا الكثير من الجدل معللا ذلك بخيانة الرواية للنص :

كأني لم أركب جواد ا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

وأسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال

يقول :"هكذا الرواية وهما بيتان حسنان ،ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج(x).

وكذلك الرماني(384هـ) يسمى التوافق الموجود بين فواصل القرآن، مشاكلة «...إنها

حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى»(xi). وذكر أبوهلال العسكري (395هـ) من عيوب الازدواج التجميع وهو «أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني... (xii).

وهكذا نجد أن لفظة المشاكلة قد دارت في كلامهم كثيرا لكن بمعناها اللغوي، وهو التوافق والانسجام أي " المشاكلة الفنية"(xiii).

على أنّه يبدأ التأصيل العلمي لهذا اللون البديعي مع أبي زكريا الفراء (207هـ)، الذي سبق إلى الحديث عنه وتوضيحه بالأمثلة والشواهد، لكن دون تسميته باسمه، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: " فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين "(البقرة :193)، يقول: «وقوله: فإن انتهوا...إلى، فلم يبدؤكم (فلا عدوان) على الذين انتهوا، إنما العدوان على من ظلم، على من بدأكم ولم ينته فإنّ قال قائل: أرأيت قوله : " فلا عدوان إلا على الظالمين " أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى، وإنما هو لفظ على مثل ما سبق قبله، ألا ترى أنّه قال: " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم "، فالعدوان من المشركين إنما هو قصاص، فلا يكون القصاص ظلما وإن كان لفظه واحدا، ومثله قوله تبارك وتعالى: " وجزاء سيئة سيئة مثلها "(الشورى:40) وليست من الله على مثل معناها من المسيء لأنها جزاء»(xiv)، فقد أدرك الفراء معنى المشاكلة التي عرفها بأنها:"لفظ على مثل

ما سبق قبلهُ، أي أن اللفظ واحد ولكن المعنى يختلف، فاعتداء المشركين هو ظلم وعدوان، وأما الرّد على العدوان، فلا يكون بأية حال من الأحوال عدوانا، وإنما هو عقاب وجزاء. وبهذا الفهم والوضوح أسس الفراء لهذا الفن البديعي، فلم يترك للذين من بعده سوى شرف تسميته بحيث أنه حدّد قسمي المشاكلة: وهي التحقيقية كما يظهر في الشاهد القرآني السابق، أما التقديرية ففي قوله تعالى: " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " (البقرة :138)، يقول الفراء: «وقوله صبغة الله إنما قيل «صبغة الله لأنّ النصارى كانوا إذا ولد المولود جعلوه في ماء لهم، يجعلون ذلك تطهيرا له كالختانة، وهي في إحدى القراءتين قل: "صبغة الله"، وهي الختانة، اختتن إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال: قيل "صبغة الله" يأمر بها محمد صلى الله عليه وسلم فجرت الصبغة على الختانة لصبغهم الغلمان بالماء...»(xv).

«ولا يصعب على المرء أن يتلمس من خلال الموازنة أثر ذلك في البحث البلاغي، وذلك أن ما ذكره الفراء في نصه الأول قد استحال عند البلاغيين المتأخرين إلى ما يسمى المشاكلة التحقيقية، لذكر المعادل قبلها بلفظة تحقيقا، وما ذكره في نصه الآخر فهو عندهم من قبيل المشاكلة التقديرية، إذ كانت (صبغة الله) عندهم مراد بها تطهير المسلمين أولادهم بالختانة، وهي لفظة لم يتقدم لها ذكر في الآية قبل، وإنما فهم معناها من سبب النزول الذي ذكر الفراء طرفا منه»(xvi)، ولئن فات الفراء أن يسمي المشاكلة باسمها فإنّه قد أحرز السبق في التأصيل لمفهومها ومعناها وأقسامها، وهذا ما جعل دور البلاغيين اللاحقين لم يتجاوز تكرار وترديد ما تناهى إليه فهم الفراء. وقد استفاد ابن قتيبة (276هـ)من تأويل الفراء وهذا في باب أسماه "باب مخالفة ظاهر اللفظ لمعناه"، ومن ذلك تسمية جزاء الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان

نحو قوله تعالى: " سخر الله منهم " و "مكروا ومكر الله " و "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " فالعدوان الأول ظلم، والثاني جزاء، والجزاء لا يكون ظلما، وإن كان لفظه كلفظ الأول... ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم إن فلانا هجاني وهو يعلم أني لست بشاعر، اللهم والعنه عدد ما هجاني، أو ما كان هجاني» ؛ أي جازه جزاء الهجاء»(xvii).

وعود على تعريف الفراء للمشاكلة بأنها لفظ على مثل ما سبق، أي إجراء اللفظ على معنى لا يصح له في الحقيقة، طلبا للتشاكل لا غير. إلاّ أنّ هذه النكتة لم يدركها الكثير من البلاغيين الذين خبطوا خبط عشواء ما جعلهم يدخلون المشاكلة تحت أنواع كثيرة هي بالفعل إما أن يكون فيها اتفاق في اللفظ واختلاف في المعنى، أو اتفاق في اللفظ والمعنى، مع إغفال مسألة إطلاق اللفظ على مثل ما سبق، أي القصدية التي تجعل المتكلم

يعدل عن اللفظ المألوف للمعنى، إلى لفظ آخر ينطبق على معنى آخر لا يقره الوضع اللغوي. ولذلك ألفينا المشاكلة تدرس ضمن ما يسمى بالتجنيس، والازدواج، والمحاذاة، ورد الصدور على الأعجاز..وسنتتبع هذه الألوان بغية وضع الحدود الفاصلة بينها وبين المشاكلة .

1) الجناس

حكي عن الخليل: «هذا يجانس هذا أي يشاكله»(xviii)، وقد عد الرماني (376هـ) المشاكلة جناسا، بل أحد أنواعه وهو جناس المزاوجة. والجناس عنده هو: «بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة، والتجانس على وجهين: مزاوجة ومناسبة... فالمزاوجة تقع في الجزاء كقوله تعالى:" فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه " ، أي جازه بما يستحق على طريق

العدل، إلا أنّه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان»(xix)، والمزاوجة معناها: «أنْ يزاوج المتكلم بين معنيين واقعين في الشرط والجزاء»(xx)، مثال ذلك قول البحتري:

إذا ما نهى الناهي فلجّ بي الهوى أصاخت إلى الواشي فلجّ بي الهجر*

فقد زاوج البحتري بين الشرط (نهى الناهي) و(فلجّ بي الهوى)، وبين الجزاء (أصاخت إلى الواشي) و(لجّ بي الهجر)، وهذا الكلام يقول عنه عبد القاهر الجرجاني بأنه: «...مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني: يضع يمينه هاهنا في حال ما يضع يساره هناك...»(xxi)، وهذا عين ما قصده الرّماني من خلال الأمثلة التي أوردها سواء القرآنية أو الشعرية أو ما كان من كلام العرب.ومن ذلك قوله تعالى: "يستهزؤن والله يستهزئ بهم ",أي يجازيهم على استهزائهم، ومنه "ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين " أي جازاهم على مكرهم فاستعير للجزاء على المكر اسم المكر لتحقيق الدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم... والعرب تقول: الجزاء بالجزاء والأول ليس بجزاء وإنما هو على مزاوجة الكلام، قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

فهذا حسن في البلاغة، ولكنه دون بلاغة القرآن لأنّه لا يؤذن بالعدل كما آذنت بلاغة القرآن، وإنما فيه إيذان براجع الوبال فقط...» (xxii).

ومما سبق نلاحظ أن الآيات القرآنية قد زاوجت بين الشرط وهو (فمن اعتدى عليكم) و(يستهزءون) و(مكروا) و(يخادعون) وبين الجزاء وهو (فاعتدوا عليه) و(الله يستهزئ بهم) و(مكر الله والله خير الماكرين) و(هو خادعهم) وكذلك الأمر بالنسبة إلى بيت عمرو بن كلثوم، فقد زاوج بين الشرط (ألا لا يجهلن) والجزاء (فنجهل فوق جهل الجاهلين) فقد استعير في كل هذه الأمثلة اسم الشرط للجزاء، وهذا على سبيل المشاكلة* ويعتبر الباقلاني(403هـ) المشاكلة تجنيس مزاوجة متبعا في ذلك الرماني ومرددا كلامه وأمثلته دون الإشارة إليه(xxiii). وأما ابن رشيق (456هـ) فقد ذكر أن الرماني سمى جناس المضارعة (مشاكلة) وهو كما يعرّفه: " ما زيد في حروفه أو نقص، وهذا ما يسميه الجرجاني التجنيس الناقص كقول الشاعر:

فيا لك من خرم وعزم طواهما جديد البلى تحت الصفا والصفائح(xxiv)

فالجناس بين (الصفا) و(الصفائح)

يقول ابن رشيق: «وهذا النوع يسميه الرماني المشاكلة وهي عنده ضروب هذا أحدها، وهي المشاكلة في اللفظ خاصة، وأما المشاكلة في المعنى فننبه عليها في مكانها إن شاء الله تعالى(xxv). والملاحظ أن الرماني لم يستعمل في كلامه السابق-كما رأينا- المشاكلة ، هذا وإن كان قد أدرك معناها. في حين أن ابن رشيق يبدو أنه قد أخطأ في فهم كلام الرمان ،الذي بدوره خلط بين الجناس المماثل (المزاوجة) وبين المشاكلة، أما ابن رشيق فقد عدّ جناس المضارعة، -و المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف -مشاكلة، بالإضافة إلى أنّه ذكر بأنّ الرماني أورد أنواعا أخرى من المشاكلة المعنوية واللفظية وهذا لم يحدث. وحتى ابن رشيق ذاته لم يأت على ذكر المشاكلة المعنوية في أي موضع من كتابه العمدة «فمن أين أتى ابن رشيق بهذا الذي نسبه إلى

الرماني، وهو المشاكلة في اللفظ خاصة»، وما (المشاكلة في المعنى)؟ عند ابن رشيق وعند الرماني؟ وما ضروب المشاكلة الباقية؟ إننا -كما يقول صاحب كتاب نظرات في علم البديع- لا نجد إجابة على هذه الأسئلة، لا في (النكت) للرماني، ولا في (العمدة) لابن رشيق، ولا في غيرهما. (xxvi).

وفي باب التجنيس دائما يذكر ابن رشيق الأمثلة القرآنية التي درج العلماء على الاستشهاد بها للمشاكلة، يقول: «ومن المزاوجة عندهم قول الله تعالى: "يخادعون الله وهو خادعهم" (البقرة:9،) وقوله:"فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (البقرة 194) ، وقوله:

" إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم" (البقرة :14،15)، وكل هذه استعارات مجاز لأن المراد المجازاة فزواج بين اللفظين»(xxvii) ، وهذا نفسه ما ذهب إليه الرماني حينما عدّ المشاكلة مزاوجة تجنيس.

ومن الذين اعتبروا المشاكلة تجنيسا الخطيب التبريزي (502هـ) حيث يقول:

«والمشاكلة أن يجمع الشاعر في البيت بين كلمتين متجاورتين أو غير متجاورتين شكلهما. واحد، ومعنياهما مختلفان»(xxviii)، وهذا ما يطلق عليه بالجناس التام، وقد نبه إلى ذلك ابن أبي الأصبع (654 هـ) في باب المشاكلة قال: «وهي أن يأتي المتكلم في كلامه أو الشاعر في شعره باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فصاعدا من البيت الواحد، وكذلك الاسم في كل موضوع من الموضعين مسمى عند الأول تدل صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظتين الأخرى في اللفظ والخط ومفهومهما مختلف، ومن انشادات التبريزي في هذا الباب قول أبي سعيد المخزومي [مديد].

حدق الآجال آجال والهوى للمرء قتّال

وأنشد فيه قول الشمّاخ [بسيط]

عادت تساقطني والرحل أن نطقت ورقاء حين دعت ساقا على ساق

وقال التبريزي فلفظ الآجال الأولى أسراب البقر الوحشية، والثانية منتهى الأعمار، وبينهما مشاكلة في الخط واللفظ ، وكذلك ساق الأولى التي هي ذكر الحمام، والثانية التي هي ساق الشجرة، وعندى أن ما أنشده التبريزي في هذا الباب داخل في أحد قسمي التجنيس المماثل»(xxix) ، وقد أصاب ابن أبي الأصبع فيما لاحظه على التبريزي الذي وإن كان استعمل لفظ المشاكلة في كلامه إلاّ أنّه أخطأ في التمثيل لها ،بحيث أن ما أورده من أمثلة هو داخل في الجناس وليس المشاكلة.

يكمن الفرق بين هذين اللونين في أنهما على الرغم من أن كليهما يتحقق فيه شرط الاشتراك والمماثلة بين كلمتين تتفقان في اللفظ والصورة، إلا أنهما مع ذلك يختلفان اختلافا بينا من حيث أن الجناس يقوم أساسا على تكرار اللفظة الواحدة مع اختلاف معنى كل واحدة منهما. غير أن هذا التكرار اللفظي والاختلاف المعنوي لم يمنع من استعمالهما استعمالا حقيقيا وفق الوضع اللغوي، مثال ذلك قوله تعالى:"ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة "(الروم :55) فالجناس بين (ساعة) و(ساعة) اللتان اتحدتا لفظا وخطا واختلفتا معنى، فالأولى هي القيامة وأما الثانية فهي المدة المحددة من الوقت وكليهما قد استعمل استعمالا حقيقيا تماما كما قال الشاعر حدق الآجال آجال .

أما المشاكلة فهي أيضا تكرار لكلمة متفقة خطا ونطقا مع اختلاف معنى كل منهما، -وهذه هي النقطة التي تتقاطع فيها المشاكلة بالجناس –إلا أن

استعمال الثانية وقد تكون الأولى هو استعمال غير حقيقي أي مجازي تم فيه خرق المعيار اللغوي المتعارف عليه . ولذلك صنف الجناس كمحسن لفظي في حين أن المشاكلة محسن معنوي، وتكمن بلاغة كل من الجناس والمشاكلة في: أن الجناس كما يقول عبد القاهر الجرجاني : «...واعلم أن النكتة التي ذكرتها في التجنيس، وجعلتها العلّة في استجابة الفضيلة، وهي حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة... وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة... وقد أرادت أن تجيئك ثانية، وتعود إليك مؤكدة ،حتى إذا تمكن في نفسك تمامها ووعى سمعك آخرها، انصرفت عن ظنك الأول، وزلت عن الذي سبق من التخيل وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها، وحصول الربح بعد أن تغلط فيه حتى ترى أنه رأس المال..." (xxx)وذلك كله هو جماع فضيلة المشاكلة،إلا أن مزية المشاكلة هو أنها تتجاوز مجرد اتحاد كلمتين متماثلتين تصدران من أصل واحد في اللغة، وما يخلفه تكرار تلك الكلمات من موسيقى وإيقاع عذب ،إلى إيهام للقارئ بوحدة المعنى وهو مختلف ، إلى خداعه مرة أخرى عن طريق العدول عن الوضع الحقيقي الذي تخترقه المشاكلة، وما يحققه ذلك الخرق من استخدام جديد يفجر طاقات الكلمة إلى أقصى مدى، كتسمية الجزاء باسم الذنب، أو تسمية الذنب باسم الجزاء..الخ والقصد من ذلك هو المبالغة في التخويف والتهديد.

2)-الازدواج:

أطلق الزجاج (311هـ) مصطلح الازدواج بدلا من المشاكلة، وذلك في تفسيره لقوله تعالى:"الله يستهزئ بهم " (البقرة:15)، يقول: «...ويجوز –والله أعلم- وهو المختار عند أهل اللغة، أن يكون معنى يستهزئ بهم، يجازيهم على هزئهم بالعذاب ، فسمي جزاء الذنب باسمه كما قال عز وجل: " وجزاء سيئة

سيئة مثلها" فالثانية ليست سيئة في الحقيقة ولكنها سميت سيئة لازدواج الكلام»(xxxi).

وكذلك فعل المرتضى (436هـ) في أماليه، حيث استخدم الازدواج عوض المشاكلة، ففي تأويله لقوله تعالى:" الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون" وجوه كثيرة من بينها الوجه الرابع وهو: «أن يكون معنى ذلك أن الله هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليهم، وأن ضرورة ما فعلتموه لم يتعدكم، ولم يحط بسواكم، ونظير ذلك قول القائل: إن فلانا خدعني فخدعته ... ومن شأن العرب أن تسمي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه به وتعلقه به إذا انكشف المعنى وأمن الإيهام، وربما غلبوا أيضا اسم أحد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهم، فمثال الأول قولهم للبعير الذي يحمل المزادة راوية، وللمزادة المحمولة على البعير راوية ، فسموا البعير باسم ما يحمل عليه... قال الشاعر:

مشي الرِّوايا بالمزاد الأثقل(xxxii)

إذن فالمشاكلة هي من سنن العرب في كلامهم، فهي داخلة في باب الاتساع ،الذي يسمح للمتكلم بالتصرف في كلامه كيف يشاء، فيقيم الشيء مقام شيء آخر لتقارب بينهما، أو يجري الاسم على اسم آخر لعلاقة المصاحبة، وإن كان المرتضى في الجواب السابق لم يسم هذا التلوين في الخطاب بأي اسم، فلم يذكر لا المشاكلة ولا حتى الازدواج . إلا أنه في الجواب السابع سيكون أكثر تحديدا وتخصيصا، بحيث أن إطلاق الاستهزاء على الجزاء هو من قبيل الازدواج يقول: «والجواب السابع أن يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ، ويخف على اللسان وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد عليه مذكورة مشهورة...» (xxxiii).

ويبدو أن ابن منقذ (584هـ) قد حذا حذو الزجاج والمرتضى، حينما سمى أيضا المشاكلة ازدواجا في قوله: «اعلم أن الازدواج هو أن يزاوج بين الكلمات والجمل كلام عذب وألفاظ عذبة، حلوة كما قال الله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه"(xxxiv) والازدواج معناه أن يأتي المتكلم في كلامه بألفاظ مزدوجة؛ أي على زنة واحدة. وقد أفرد له الجاحظ بابا سماه «باب من مزدوج الكلام» أورد فيه حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم في معاوية رضي الله عنه يقول: «اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب» وبعضا من كلام وخطب العرب(xxxv).

وواضح مما سبق أن المراد بالازدواج هو تزويج الكلام طلبا للتناسب والتوازي، وهذا يدخل في إطار المشاكلة العامة أو الفنية التي تعني الموافقة والمشابهة ،أي أن تكون الكلمات متعادلة ومتوازية كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .بل وقد يضطر المتكلم إلى التعديل في بنية الكلمة ومخالفة اللغة من أجل تحقيق التوافق والازدواج يقول التفتازاني: «وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج، فيقولون آتيك بالغدايا والعشايا أي بالغداوات وهنأني الطعام ومرأني؛ أي أمرأني وأخذ ما قدم وما حدث أي حدث بالفتح مع أن فيه ارتكاب لما يخالف اللغة..» (xxxvi).

وبهذا يكون صاحب المطول قد أصاب محزّ هذه المسألة وهي مخالفة اللغة، والتي بحثها قبله ابن فارس (395هـ) تحت اسم المحاذاة والمزاوجة و الإتباع.

فقد أطلق ابن فارس (395هـ) على المشاكلة اسم المحاذاة، ويعرفها بقوله: «ومن سنن العرب المحاذاة، وذلك أن تجعل كلاما بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظا وإن كانا مختلفين، فيقولون الغدايا والعشايا، فقالوا الغدايا لانضمامها إلى العشايا، ومثله قولهم: أعوذ بك من السامة واللامة، فالسامة من

قولك سَمت إذا خصّت واللامة أصلها ألمَت ، لكن لما قرنت بالسامة جعلت على وزنها...» (xxxvii)، وهذا كما رأينا هو الازدواج. ويواصل ابن فارس رصد أمثلة المحاذاة قال: «وذكر بعض أهل العلم أن من هذا الباب كتابة المصحف، كتبوا :"والليل إذا سجى " بالياء وهو من ذوات الواو لمّا قرن بغيره مما كتب بالياء... ومن هذا الباب قوله تعالى:" ولو شاء الله لسلطهم عليكم "[النساء: 90] فاللام في "لسلطهم" جواب لو، ثم قال: "فلقاتلوكم" فهذه حوذيت بتلك اللام، وإلا فالمعنى لسطلهم عليكم، فقاتلوكم (...)، ومن هذا الباب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه نحو" إنما نحن مستهزءون الله يستهزء بهم " [البقرة: 14-15] أي يجازيهم جزاء الاستهزاء و " مكروا ومكر الله " [آل عمران: 54]، و"ويسخرون منهم سخر الله منهم "[التوبة:79]] و" نسوا الله فنسيهم " [التوبة: 67] و"وجزاء سيئة سيئة مثلها " [الشورى: 40] .(xxxviii)

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن ابن فارس استعمل المحاذاة ,أي أن تصاغ الكلمة على وزن الكلمة التي تحاذيها لعامل المحاذاة والمداناة والمجاورة ، وهذا ما يتحقق بالفعل في الأمثلة القرآنية والشعرية –بيت عمرو بن كلثوم- التي تتكرر عادة في المشاكلة، الاستهزاء والمكر والسينة..الخ. فقد أرجع سبب تسمية الجزاء باسم الفعل هو المحاذاة، وهذا ما يجعلنا نقر بأن ابن فارس لم يتعمق في فهم المشاكلة على الرغم من أن المحاذاة أو الازدواج؛ هو أن تتأثر الكلمات بعضها ببعض بسبب التجاور والتداني، ما يؤدي إلى أن تفارق الكلمة صورتها نسبيا، أما معناها فلا يتغير. في حين أن المشاكلة مفارقة كلية على المستويين الشكلي والمعنوي، ومن العجيب أن نجد ابن فارس يستعمل مصطلح المشاكلة صراحة، حينما تحدث عن المترادف، وذلك

في موضع آخر من كتابه "الصاحبي" يقول" «وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبّر عن الشيء بالشيء. فإنا نقول: «إنما عبّر عنه عن طريق المشاكلة، ولسنا نقول إن اللفظين مختلفان فيلزمنا ما قالوه، وإنما نقول إن في كل واحد منها معنى ليس في الآخر»(xxxix).

ومعنى هذا أن المتكلم يجوز له أن يستعمل لفظة مكان أخرى ليعبر عن معنى مختلف، وعلى سبيل المشاكلة أو على سبيل الجناس، وهذا يدخل في باب التوسع في مسالك القول وأساليب البلاغة والفصاحة، فللتجاور المكاني سلطانه في جعل الكلام يسير على إيقاع واحد ونسق واحد، وإن كان المعنى مختلفا.

وإذا كان أثر المحاذاة يقف عند مجرد تحقيق الاتساق الإيقاعي الذي ينتج عن تردد نغمة موسيقية واحدة لما يخلفه ذلك من أثر في النفس، فإن المشاكلة تتجاوز ذلك إلى أبعد من مجرد خلق الأثر الموسيقي إلى خلق توتر في النفس سببه الخروج المفاجئ عن الاستعمال الاعتيادي للكلمة، والذي يكسبها استعمالا أو لفظا جديدا ما كان ليخطر بذهن القارئ على الإطلاق.وقد رأينا أن الازدواج أو المحاذاة هو توخي المتكلم المماثلة في زنة كلماته ما يجعله يعمد في بعض المرات إلى التصرف في الوضع الأصلي للكلمة حتى يتحقق له الإيقاع والانسجام المطلوب. وكذلك المشاكلة هي أيضا تعديل في وضع الكلمة لاستجلاب نغمة مخصوصة، لكن الفرق بينهما وهو أن الكلمات في الازدواج تستعمل استعمالا حقيقيا؛ أي في المعنى الذي وضعت له في أصل اللغة حتى وإن طرأ عليها التغيير كحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : «خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة»، أي كثيرة الولد، وكان ينبغي أن يقول مؤمرة، ولكنه اتبع مأبورة والسكة هي السطر من النخيل»(xl). وأيضا

قوله صلى الله عليه وسلم : «ارجعن مأجورات غير مأزورات»؛ أي ليس عليكن وزر،فقد أتبع مأزورات مأجورات .إذن فالقصد من التغيير هو إحداث إيقاع صوتي في الكلام تحسنه المجاورة المكانية، دون أن تزايل الكلمات معناها الأصلي، كما أنه لا يشترط في الكلمات المزدوجة مماثلة حروفها وإنما يتحقق الازدواج في الوزن فقط. في حين أن المشاكلة وهي أن التعديل يتلبس كل الكلمة وليس جزءا منها فقط، مما يعني اتحاد وتماثل في البنية السطحية واختلاف وتباعد في البنية العميقة وهذا التلبس يكسو المعنى زيا جديدا ،يعمد إليه المتكلم مشاكلا به المقام اللفظي للمقام الحالي.

ويلحق السجلماسي (ق8هـ)أيضا المشاكلة بالمحاذاة والتي تتوزع عنده إلى مزاوجة ومناسبة، وبدون أية إشارة إلى الرماني يعيد كل ما قاله هذا الأخير، لكن بلونه الخاص وبأسلوبه الذي يمتح فيه من المنطق والفلسفة الأرسطية، ما جعل كلام السجلماسي لا يمكن سبر غوره أو التوصل إلى مراده بيسر دون معرفة مسبقة بشجرة التركيب البنيوي لمصطلحاته العلمية، ، يقول عن قوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " فإن موفيا إن وفى قول جوهر هذا القول كان ما يوفيه هو القول الأول، وذلك على طريق الاستعارة لغرض تحقيق المقابلة وتأكيد المساواة في المعادلة في المقدار، وبيان ذلك أن تأويل هذا القول"فمن اعتدى عليكم"فجازوه بما يستحق على طريق العدل، فاستعير للثاني لفظ الاعتداء لغرض تأكيد المساواة في المعادلة والجزاء، وتحقيق المقابلة باللائق، والكفاء به ولو لا ذلك لم يكن لهذا المعنى، وهو «جازوه بما يستحق» أن يسمى اعتداء لا على طريق الاستعارة، كما قد قيل في استعارة المعنى الأول المدلول عليه بالجزء الأول من القول للمعنى الثاني المدلول عليه بالجزء الثاني منه للغرض في ذلك فجاء على

مزاوجة الكلام لحسن البيان والتشبيه أحوال الألفاظ بأحوال المعاني...»(xli).

أما مصطلح المشاكلة، فقد استعمله السجلماسي –على مايبدو- بمفهومه اللغوي، وهو المماثلة، ولا أدلّ على ذلك من مختلف الألوان البديعية التي أدرجها تحت ما أسماه مشاكلة، والتي بدورها تدخل تحت جنس أكبر هو التكرير الذي يتفرع إلى نوعين: التكرير المعنوي، وهو المناسبة، والتكرير اللفظي وهو المشاكلة والمقصود بها «إعادة اللفظ الواحد بعينه وبالعدد أو بالنوع مرتين فصاعدا، وهو ينقسم إلى الاتحاد والثاني المقاربة...» (xlii). وضمن الاتحاد نجد التجنيس، أما الثاني فيتضمن التصريف والمعادلة والتصريع، ومن هنا نلاحظ أن السجلماسي قد نسف كل الجهود التي سبقته خاصة، بدءا بالسكاكي وانتهاء بكل شراح التلخيص وغيرهم –كما سنبين لاحقا - والتي عملت على استقلالية هذا اللون البديعي وسلّه من بين ركام الألوان الأخرى، بحيث أن السجلماسي قد أعاد المشاكلة مرة أخرى إلى دائرة اللبس والغموض، وإن كان استعماله لمصطلح المشاكلة، وبهذه الكيفية العامة، يعني أنه فهم أن المشاكلة أسلوب كتابة يعمد إليه المتكلم في كلامه تحقيقا للاتساق والانسجام دون الوقوف عند ما أشار إليه بداية الفرّاء، ومن جاءوا بعده بأنها عدول عن الحقيقة.

3) ردّ أعجاز الكلام على الصدور

سمّاه ابن المعتز (296هـ)«ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها»(xliii)، ومعنى ذلك هو أن تتكرر آخر كلمة في البيت في مواقع مختلفة منه، وقلنا ذلك لأن البعض اشترط أن يكون التكرار في أول كلمة في صدرالبيت، والبعض في حشوه، والبعض الآخر ما تكرر منه حتى في أول وحشو العجز، وهذا ما أوقعه في الخلط بين فنون أخرى كالترديد والتصريع والتعطف... وقد سمى

أبو هلال العسكري (395هـ) المشاكلة بـ:«رد أعجاز الكلام على صدورها ممثّلا لهذا اللون بقوله تعالى : "وجزاء سيئة سيئة مثلها "، فتردد السيئة الثانية على الأولى، هو من قبيل رد الأعجاز على الصدور، ولكنه يورد جزئية في غاية الأهمية تتعلق بهذه الآية وما شاكلها، يقول: «إنك إذا قدّمت ألفاظا تقتضي جوابا فالمرضي أن تأتي بتلك الألفاظ في الجواب ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها...» (xliv)، أي أنّ الجواب لا بد أن يكون متضمنا لألفاظ السؤال، تماما كما في هذه الآية فهي احتمال أن تكون جوابا –كما ذهب- عن سؤال، وهو ما جزاء السيئة؟ فيكون الجواب مماثلا ومطابقا للسؤال، ومن ثمة يكون مثلها، وقد أورد أبو هلال لذلك أمثلة، يقول «وكتب بعض الكتاب في خلاف ما اقترف ذنبا عامدا، أو اكتسب جرما قاصدا لزمه ما جناه، وحاق به ما توخاه، والأحسن أن يقول، لزمه ما اقترف وحاق به ما اكتسب»(xlv)، والعلاقة واضحة بين ما قدمه من أمثلة وبين ردّ الأعجاز على الصدور، فالأجوبة لا بد أن تكون متضمنة لما يأتي في الأسئلة أي مشاكلة لها، ولكن ماذا عن الكلام الذي ليس من قبيل السؤال ومع ذلك تتكرر اللفظة الواحدة، مثال ذلك قوله تعالى : "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك" (المائدة:116)، و يتكرر كلام العسكري هذا مع العديد من البلاغيين لكن في إطار المقابلة، ولذلك سنلقي مزيدا من الضوء على هذا الموضوع في مكانه.

ومن الذين اعتبروا الآيات القرآنية التي تدور عادة في موضوع المشاكلة بين البلاغيين من باب ردّ أعجاز الكلام على الصدور، عبد القاهر الجرجاني وذلك في معرض حديثه عن فائدة الفصل والوصل في الكلام، حيث ذكر بأنه من الجمل ما يجب أن يغيب فيها الوصل على الرغم من أن ظاهرها يقتضي العطف على ما قبلها... يقول: «ومما هو أصل في هذا الباب –

العطف-أنك ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف، ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر عرض فيها، صارت به أجنبية عما قبلها، مثال ذلك قوله تعالى : "الله يستهزئ بهم،ويمدهم في طغيانهم يعمهون" الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله: "إنما نحن مستهزؤن "، وذلك أنه ليس بأجنبي منه، بل هو نظير ما جاء معطوفا من قوله تعالى:"يخادعون الله وهو خادعهم " ، وقوله: "ومكروا ومكر الله "وما أشبه ذلك مما يرّد فيه العجز على الصدر، ، ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف، وذلك لأمر أوجب ألا يعطف، وهو أن قوله: "إنما نحن مستهزؤن"، حكاية عنهم أنهم قالوا وليس بخبر من الله تعالى: وقوله تعالى : "الله يستهزئ بهم "، خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، وإذا كان كذلك كان العطف ممتنعا لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى معطوفا على ما هو حكاية عنهم...» (xlvi)، إذن فتكرار الألفاظ في الآيات المستشهد بها، وكذا تسمية الجزاء على الفعل باسم الفعل، يدخل حسب عبد القاهر الجرجاني في إطار رد الأعجاز على الصدور، ، فالمشاكلة -كما سبق ورأينا- هي تكرار وهي عدول، وهذا ما لم ينتبه إليه الجرجاني، أو لم يعره انتباهه، بحيث أن في كلامه تسمية الجزاء باسم الفعل هو خروج، وهو استعمال جديد، يتعدى مجرد التكرار الذي يكون مع الألفاظ المتوافقة شكلا ومعنى كما هي الحال مع ردّ الأعجاز على الصدور أو التصدير، ومن ثمة كان الفرق الجوهري بين التصدير والمشاكلة، وهو على الرغم من أنهما يعتمدان التكرار ركيزة لربط الكلام، أوله بآخره، ولإحداث نغم معين، إلا أنهما يختلفان من حيث أن التصدير، تكرار يقتضي التوافق المعنوي واللفظي بعكس المشاكلة التي يتحقق فيها التوافق السطحي، أي الصياغي فقط دون المعنوي.

4/المقابلة:

وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر متفقين أو مختلفين ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب أي: «إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة...» (xlvii). وقد أدرج بعض البلاغيين المشاكلة في إطار المقابلة، ومن هؤلاء أبو هلال العسكري الذي مثّل في باب المقابلة ببعض شواهد المشاكلة، من ذلك: قوله تعالى: "ومكروا مكرا ومكرنا مكرا" وكذلك قوله تعالى :"نسوا الله فنسيهم" فهذه الشواهد تدخل حسب العسكري فيما يعرف بالمقابلة في المعنى، والتي منها مقابلة الفعل بالفعل(xlviii)، فقد قابل عز وجل مكر الكفار بالأنبياء والمؤمنين بمكره .ومكر الله هو العذاب الذي ينزله بالكافرين جزاء وفاقا. وكذلك الحال بالنسبة للآية الثانية.

كما ذهب الشريف الرضي (406) أيضا إلى أن المقابلة بين الألفاظ هي عادة العرب، وذلك حينما سمى الله الجزاء على المكر مكرا(xlix).

ومن الذين اعتبروا المشاكلة مقابلة أيضا الزمخشري(538 هـ)، في وقفته عند قوله تعالى: "ومايخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون" (البقرة:9) قال: «...فمنع أن ينسب الخداع إلى الله تعالى لما يوهم ظاهره من أنه إنما يكون عجز عن المكافحة، وإظهار المكتوم، هذا هو الموهوم منه في الإطلاق، ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلا، لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم، علمنا أن المراد منه أنه فعل معهم فعلا سمّاه خداعا مقابلة ومشاكلة...» (l). أي أنه قابل فعلهم بفعله.. فالمقابلة تكمن في مواجهة الفعل برد الفعل، وأما المشاكلة فهي في تسمية الردّ على الفعل باسم الفعل. ومن ثمة وحسب ما تقدم ندرك أن الزمخشري كان واعيا – في هذا المثال -كغيره بحقيقة المشاكلة لكن دون تسميتها.وإن كان يعد من الذين أدركوا حقيقة المشاكلة اسما ومعنى، كما

سنرى .

ويظهر تأثر بن الأثير (637هـ) بمن سبقه واضحا في تسميته للمشاكلة مقابلة. فمن أنواع المقابلة،عنده : مقابلة الشيء بمثله وهو يتفرع إلى فرعين أحدهما مقابلة المفرد بالمفرد، ويمثل لذلك بقوله تعالى: "نسوا الله فنسيهم "، وكقوله تعالى: "ومكروا مكرا ومكرنا مكرا "، وقد روعي هذا الموضوع في القرآن كثيرا، فإذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه مماثلا، كقوله تعالى:"...من كفر فعليه كفره "، وكقوله تعالى: "وجزاء سيئة سيئة مثلها" وهذا هو الأحسن، وإلا فلو قيل من كفر فعليه ذنبه، كان ذلك جائزا لكن الأحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى، وعليه مدار الاستعمال، وهذا الحكم يجري في النظم والنثر، مع الأسجاع والأبيات الشعرية، فأما إن كان ذلك غير جواب فإنه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية...»(li)، وهذا الكلام يذكر بما أورده العسكري و المرتضى في باب ردّ الأعجاز على الصدور.

وكذلك يحذو العلوي (749هـ) في طرازه حذو من تقدمه من البلاغيين في الخلط بين المشاكلة والمقابلة، فقد اكتفى بإعادة كلام ابن الأثير، ففى مقابلة المفرد بالمفرد مثل بقوله تعالى:" وجزاء سيئة سيئة مثلها " وقوله تعالى :" ومكروا ومكر الله" للجملة،وان كان العلوي قد تميز بإطلاق لفظ المشاكلة أثناء تحليل الشواهد مريدا بها مماثلة الجزاء على الفعل.(lii)

ثم جاء ابن القيم (751هـ) ليعيد ما ورد في المثل السائر كلمة بكلمة دون الإشارة إلى ابن الأثير أو العسكري ، يقول: «ومن مقابلة الشيء بمثله أنه إذا ذكر المؤلف ألفاظا تقتضي جوابا فالمرضي عندنا أن يأتي بتلك الألفاظ في الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها، مما هو في معناها، فمن ذلك

قوله تعالى:" وجزاء سيئة سيئة مثلها " ومما عيب في هذا الباب قول بعضهم من اقترف ذنبا عامدا أو اكتسب جرما قاصدا لزمه ما جناه، وحاق به ما توخاه... والأليق إن كان لزمه ما اقترف وحاق به ما اكتسب ليكون أحسن طباقا...» (liii). وقد اعتبر صاحب "البحر المحيط" تسمية الله عز وجل مجازاة الكفار على خداع المؤمنين بالمخادعة، وهذا «على وجه المقابلة، وتسمية الفعل الثاني باسم الفعل الأول المسبب له...» (liv). وفي ذات السياق

يقول ابن كثير: «...لأن المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتف عن الله عز وجل بالإجماع وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة...» (lv).ولئن كانت علة اللبس بين المشاكلة والفنون الأخرى هوالتوافق الشكلي أي المماثلة الصياغية فان ذلك غائب بالنسبة للمقابلة ،إذ المقابلة هي مقابلة الفعل بالفعل في المعنى على جهة الاتفاق –كما في الأمثلة السابقة – أو الاختلاف دون اعتبار للمشابهة والموافقة اللفظية حتى وإن كانت في سياق المقابلة وهذا ما يميز المشاكلة عن المقابلة .

المشاكلة:

شكلّت المشاكلة إذن –من خلال ما سبق- الغائب الحاضر في الدرس البلاغي القديم، فلم تصبح فنا قائما بذاته – إلا في القرن 6هـ مع السكاكي - على الرغم من الجهد الذي بذله الفرّاء في تحديدها وتوضيحها، ما جعل الذين من بعده مجرد عالة على ما وصل إليه الفراء من جهة ،ومن جهة أخرى فإن عدم ضبطه لها باسم –المشاكلة- هو الذي أخر ظهورها كلون بديعي مستقل تميزه خصائص لا توجد في غيره– وهو مسألة العدول عن الأصل اللغوي - ولكنها في الوقت ذاته حاضرة من خلال أمثلتها القرآنية أو الشعرية التي تكررت منذ الفرّاء إلى يومنا هذا ،والتي تومئ إلى حقيقتها من طرف خفي

لكن ضمن العديد من الألوان البديعية، وقد رأينا منها: الجناس والتصدير (رد الأعجاز على الصدور)، والإزدواج (المحاذاة) والمزاوجة والمقابلة ... وغيرها من المحسنات التي تلتقي بالمشاكلة في الاعتماد أساسا على التكرار الذي يتغذى من المجاورة المكانية في استنفاد الطاقات الصوتية والمعنوية للفظة ، إلى حد العدول عن الوضع المألوف –كما هي الحال مع المشاكلة- ؛أي وضع جديد يربك المعيار اللغوي ويخلق التوتر النفسي. وقد مر أن الفرّاء تنبه ونبه إلى هذه الخصوصية التي تتوفر عليها المشاكلة دون غيرها، وذلك في تعريفه لها بأنها "إطلاق لفظ على مثل ما سبق"، فكلمة إطلاق معناها اكتساب المعنى إطلاقا جديدا غير مألوف، وقوله على مثل ما سبق هو إشارة إلى أن اللفظ يعاود الظهور ثانية وإن كان معناه مختلفا وهذا بسبب تأثير المحاذاة المكانية . وقد ذكرنا أن من البلاغيين من استعمل لفظة المشاكلة في مكانها و معناها الصحيح . كما فعل أبو علي الفارسي في القرن 4هـ حيث يقول :" ...وإذا كانوا قد استجازوا لتشاكل الألفاظ وتشابهها أن يجروا على الثاني طلبا للتشاكل مالا يصح في المعنى على الحقيقة،فان يلزم ذلك ويحافظ عليه فيما يصح في المعنى أجدر وأولى." (lvi)، إذن هو وعي مبكر من الفارسي بحقيقة معنى المشاكلة، الذي يجعلها مستقلة لا لبس فيها ولا التباس بغيرها . وأيضا القاضي عبد الجبار (415هـ) الذي ذكر بأن العرب تجري على الثاني لفظ الأول مجازا واتساعا، من ذلك إجراء اللفظ على جزاء الاستهزاء وهذا للمشاكلة .يقول في قوله تعالى: "وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا " كيف يصح المكر على الله إذ بيّن أنّه من صفات الذم، وجوابنا أن المراد إنزاله بهم العقاب وما شاكله من حيث لا يعرفون كما ذكرنا في سورة البقرة في قوله: "يخادعون الله والذين آمنوا" وما شاكله...." (lvii).

كما سمى الزمخشري المشاكلة بمعناها الاصطلاحي من خلال الأمثلة التي أوردها، ومنها قول أبي تمام:

من مبلّغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال: إنك سبط الشهادة، فقال الرجل: إنها لم تجعد عني، فقال: لله بلادك، وقبل شهادته، فالذي سوغ بناء الجار، وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة، ولو لا بناء الدار لم يصح بناء الجار، وسبوطة الشهادة، وامتنع تجعيدها...»(lviii).

وستظل المشاكلة تدور على ألسنة البلاغيين والنقاد دونما ضبط لمعناها الحقيقي إلى أن جاء السكاكي (626هـ) ولا غرو، فقد عرفت البلاغة على يديه تأثرا بالفخر الرازي(*) عهد القواعد والقوانين والتحديد والتقسيم. وتعريف السكاكي للمشاكلة الذي طار به الركبان هو: «ومن البديع المعنوي: المشاكلة، وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته...»(lix)، ويكتفي السكاكي فقط بذكر الأمثلة القرآنية والشواهد الشعرية المعهودة، والذي ينعم عقله في حد السكاكي للمشاكلة يدرك أنّه لم يزد شيئا عما قاله الفراء"فقد تحدث عنها الفراء حديثا لامزيد عليه ولم يترك للمتأخرين شيئا يضيفونه إليها(lx)" وعرّفها محمد بن علي الجرجاني (729هـ) بأنها «ذكر الشيء بغير لفظه اعتمادا على معموله أو عامله»(lxi)، وسيتشهد للأول بيت أبي الرقعمق الذي يقول فيه :

قالوا:اقترح شيئا نجد لك طبخه فقلت اطبخوا لي جبة وقميصا

يقول: «أقام -أي الشاعر- اطبخوا» مقام «خيطوا لدلالة المعمول عليه لقصد المشاكلة بين الكلامين... وكذلك بيت أبي تمام- سبق معنا البيت- "أقام-

بنيت-" مقام "حصلت" لقرينة المعمول لقصد مشاكلة المنزل» ومنه أيضا قول بعض من ردّ القاضي شهادته في هلال العيد:

أترى القاضي أعمى أم تراه يتعامى؟

سرق العيد كأن الـ عيد أموال اليتامى

أقام "سرق" مقام "ستر" لتشاكل أموال اليتامى لقرنية العيد. وأما الثانية فكقوله تعالى:"تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك"، أقام نفسك مقام ذاتك، لتشاكل نفسي، قوله: "وجزاء سيئة سيئة مثلها "، أقام سيئة مقام العقوبة لتشاكل السيئة الأولى»(lxii) ، وهذا القسم سيطلق عليه فيما بعد الخطيب القزويني اسم الحقيقي، أما ما يدخل تحت التقديري فهو كما يقول :«وقد تقدر المشاكلة لعدم التلفظ بالمشاكل، كما يحكى أن بعض الولاة كان يغرس سيالا في جامع بغداد، فوقف عليه وأنشده:

إن الـولاية لا تـدوم لـواحـد إن كنت تنكره فأين الأول

واغرس من الفعل الجميل غرائسا فإذا عُزلت فإنها لا تُعزل

أقام: "اغرس" مقام "اصنع" ليشاكل فعل الوالي.

ويستشهد لهذا القسم أيضا بقوله تعالى: "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة"، ثم يقول: «والباب كله استعارة لقصد المشاكلة لا المبالغة، ولذلك ليست من مسائل علم البيان»(lxiii).

ويستفيد القزويني (739هـ) من السكاكي ومن تقسيمات علي الجرجاني فيعرّف المشاكلة بأنها: «ذكر الشيء بلفظ غيره لدخوله في صحبته تحقيقا أو تقديرا»(lxiv) ، ويأتي على كل أمثلة المشاكلة المتناثرة في الكتب البلاغية التي سبقته، وينسج مثالا على غرار المثال الذي أورده الجرجاني عن إقامة

الغرس بدل الصنع، يقول: «كما تقول لفلان يغرس الأشجار، اغرس كما يغرس فلانا، تريد رجلا يصطنع الكرام، وهذا في باب المشاكلة التقديرية...» (lxv)، ويردد صفي الدين الحلي (756هـ) في كافيته كلام القزويني عن المشاكلة التي يصوغ معناها في هذا البيت الشعري الذي يقول فيه:

يجزي إساءة باغيهم بسيئة ولم يكن عاديا منهم على إرم(lxvi)

أما السبكي (773هـ) فيعرّف المشاكلة بتعريف من سبقه ويستشهد بالأمثلة المتواترة ، لكنه لم يقف عند مجرد الاستشهاد بها ، وإنما عمد إلى مناقشتها ملقيا الضوء

على النقاط التي تتقاطع فيها المشاكلة بأساليب بلاغية تكاد تتصل بها ؛ بداية (أسلوب الحكيم) الذي وضعه السكاكي في نهاية علم المعاني، ولكن البلاغيين صنفوه ضمن علم البديع وأطلقوا عليه اسم (القول الموجب)، وهو كما يعرّفه السكاكي بأنّ «تلقي على المخاطب بغير ما يترقب»(lxvii) أي تصديق كلام الغير وحمله على وجه آخر، ومعنى هذا أن يخرج المتكلم الكلام على مقتضى الظاهر، ومثال ذلك المحاورة التي أوردها السكاكي بين الحجاج ورجل كان قد توعده بالقيد، قال الحجاج:" لأحملنك على الأدهم فقال الرجل متغابيا: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب" مبرزا وعيده في معرض الوعد، متوصلا أن يريه بألطف وجه أن امرؤ مثله في مسند الإمرة المطاعة خليق بأن يصفد لا أن يصفد وأن يعد لا أن يوعد»(lxviii)، والجامع بين المشاكلة والأسلوب الحكيم، هو أن كليهما يتفقان في الظاهر لكنهما يختلفان في العمق، فالأسلوب الحكيم يختلف عن المشاكلة أنه يحتاج إلى سياق تحاوري، وهذا ماجعل السبكي يعتبر بيت أبي الرقعمق من الأسلوب الحكيم:

قالوا اقترح لنا شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا إلى جبة وقميصا

فالسياق كما هو ملاحظ تحاوري بين الشاعر وأصحابه، فكلام الشاعر وإن كان مماثلا لكلام أصحابه في الشكل (نجد لك طبخه) قلت (اطبخوا) إلا أن المعنى مختلف تماما عند الشاعر فهو يقصد خيطوا لي.

ويرى السبكي أن استعمال الشاعر للفظ الطبخ بدلا من الخياطة يدخل في إطار المقابلة، فقد قابل كلامه بكلام أصحابه تماما كما فعل عيسى (عليه السلام) حينما قابل نفسه بنفس الله عز وجل في قوله تعالى: "تعلم ما في نفسي ولا اعلم مافي نفسك "، ويناقش السبكي مسألة إطلاق النفس في حق الله تعالى إذ يعترض على تأويل الزمخشري (نفسك).

أي معلومك .يقول": «في نفسي في قلبي، والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة، وهو من فصيح الكلام، وبينه فقيل "في نفسك" لقوله في "نفسي"»، يقول السبكي ردّا على هذا الكلام «واعترض بجواز أن يكون المراد بنفسك "الذات" فتكون حقيقة من غير ملاحظة المشاكلة وقلت وعبارة الزمخشري: المعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة، والذي فهمته من هذا الكلام، أنّه لا يريد أن النفس هنا غير الذات، بل ذكر الجملة التي لأجلها عبر عن المعلوم بما في النفس فلا يكون إرادة الذات والحقيقة منافيا للمشاكلة ويمكن أن يقال: النفس وإن أطلقت على الذات في حق غير الله -تعالى- فلا تطلق في حقه لما فيه من إيهام معناها الذي لا يليق بغير المخلوق، فلذلك احتيج إلى المشاكلة»(lxix).

كما يعترض السبكي على الشاهد الشعري الذي أورده الخطيب

القزويني وهو قول أبي تمام:

من مبلّغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل

فقد أخطأ القزويني إذ اعتبر هذا البيت من قبيل المشاكلة التحقيقية، يقول: «... وفيه نظر لأنّ البناء المذكور لم يذكر نظيره في المنزل تحقيقا بل تقديرا، فإن تقديره قبل بناء المنزل، فهو من القسم الثاني –التقديري-لأنّ الأول بل هو أجدر من اسم البعدية من الثاني، لأنّ التقدير لفظي والتقدير في القسم الثاني معنوي..» (lxx)، ومعنى كلام السبكي أن لفظة البناء التي أوقعها على الجار مشاكلة لإيقاع البناء على المنزل ، وهو ما لم يذكره أبو تمام حقيقة وإنما تقديرا، وهذا هو التقدير اللفظي، وأما التقدير في آية البقرة "صبغة الله" فهو تقدير معنوي لأنّه يعتمد على سبب نزول الآية(lxxi)، يقول صاحب "نظرات في علم البديع": «ولو أدرت كلام السبكي في عقلك لوجدته صحيحا، لأنّه عرضه بطريقة النحاة لا البلاغيين، وكأني به يريد أن يقول: إن الجار لا يبنى ولكن يصطفى ويختار، أما الذي يقع عليه فعل (البناء) على الحقيقة فهو (الدار والمنزل) ولكن فعل (البناء) لم يقع على المنزل لفظا وإنما هو مقدر، والمقدر كالمذكور لأنّ القرينة تدل عليه ومن هنا صحّ وقوع البناء على الجار لوقوعه في صحبة ما يصح أن يقع عليه وهو (المنزل) في التقدير اللفظي، والتقدير اللفظي لا يخرج بالبيت عن أن يكون مشاكلة تحقيقية كما زعم السبكي لأنّ المقدر كالمذكور...»(lxxii)، ولم يزد باقي شرّاح التلخيص إلى المشاكلة عما قاله السكاكي والقزويني، فقد اكتفوا بتقديم الشواهد الشعرية، مثل ما أورده العباسي (963 هـ) من قول ابن جابر الأندلسي [الكامل] .

قالوا اتخذ دهنا لقلبك يشفه قلت ادهنوه بخدها المتورد

وذكرت باشتهاء أبي الرقعمق قول بعضهم [من الخفيف].

قال لي عودي غداة أتوني ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي
قلت مغلى فيه لسان وشاة قطعوه فيه بصنع عجيب
وأضيفوا إليه كبد حسود فقئت فوقها عيون الرقيب

وقول الآخر [الكامل]

عندي لكم يوم التواصل فرحة يا معشر الجلساء والندماء
أشوي قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء

ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم في معلقته... أراد فنجازيه على جهله، فجعل لفظة (فنجهل) موضع فنجازيه لأجل المشاكلة، ومثل الأول ما حكي عن عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر، أنه كان يشرب في متنزه، وعند مامانى الموسوس، فقال عبيد الله [من الوافر].

أرى غيما تؤلفه جنوب وأحسب أن ستأتينا بهطل
فحزم الرأي أن تأتي برطل فتشربه وتأتيني برطل

فقال ما هكذا قال الشاعر، وإنما هو:

أرى غيما تؤلفه جنوب أراه على مساءتنا حريصا
فحزم الرأي أن تأتي برطل فتشربه وتكسوني قميصا(lxxiii)

ويمثل ابن معصوم المدني (1126هـ) للمشاكلة بقوله:

يجزئ العداة بعدوان مشاكلة والفضل بالفضل ضعفا في جزائهم(lxxiv)

وقد انفرد - ابن معصوم- بالتمثيل للمشاكلة بأبيات أرباب البديعيات الذين «إنما بنوا أبياتهم على النوع الأول، وما يكون وقوعه في صحبة غيره

تحقيقا لأنّه الأشهر والأكثر في الاستعمال يقول:

وبيت بديعية الصفي :

يجزي الإساءة باغيهم بسيئة ولم يكن عاديا منهم على إرم

بيت بديعية ابن جاب:

سقاهم الغيث واستسقى لهم ذهبا فغير كفيه إذ أملت لا...

بيت بديعية عزالدين الموصلي:

يجزي سيئة للضد سيئـــــة معنى مشاكلة من خير منتقم

" " ابن حجة :

من اعتدى فبعدوان بمشاكلهُ لحكمة هو فيها خير منتـقم

" " المقري:

يضاعف الأجر والحسنى ويردع عن ظلم بظلم ويعفو عن كثير

" " السيوطي :

من اعتدى شاكلوا بالاعتداءو من يذن يحل من التأمين في حرم

" " العلوي :

إن الرحيم جزي بالسوء سيئة قطيعة العفو للأصحاب والرحم

" " الطبري :

جازي بالإحسان إحسانا مشاكلة وألّف اللفظ بالمعنى الملتئم(lxxv)

فهذه الأبيات كلها قد صيغت على منوال الآيتين الكريمتين: "وجزاء سيئة

سيئة مثلها وقوله تعالى:"فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " وهكذا يكون معنى المشاكلة قد اكتمل، وقد تحدد مفهومها النهائي الذي بموجبه أصبحت فنا بديعيا قائما بذاته على غرار الفنون الأخرى. إلاّ أنّه وقبل أن نطوي ملف المشاكلة في الدرس البلاغي العربي القديم بقي أن نشير إلى أن ابن أبي الأصبع(*). قد وسّع دائرة المشاكلة، فلم تعد مجرد التشاكل اللفظي وإنما تشاكل المعاني في شعر الشاعر أو بين الشعراء وهو ما يعرف اليوم بالتناص يقول: «والذي ينبغي أن تفسر به المشاكلة قولنا: إن الشاعر يأتي بمعنى مشاكل لمعنى في شعره غير ذلك الشعر، أو في شعر غيره، بحيث يكون كل واحد منهما وصفا أو نسيبا أو غير ذلك من الفنون، غير أن كل صورة أبرز المعنى فيها غير الصورة الأخرى، فالمشاكلة بينهما من جهة العرض الجامع لهما، والتفرقة بينهما من جهة صورتيهما اللفظية، ومثال مشاكلة الشاعر نفسه قول امرئ القيس في صفة الفرس [من الطويل].

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وقوله في صفة الفرس أيضا [من الطويل].

إذا ماجرى شوطين وابتلّ عطفه تقول هزيز الريح مرّت بأثأب

فامرؤ القيس في هذين البيتين قاصد وصف الفرس بشدة العدو، غير أنّه أبرز المعنى الأول في صورة الإرداف، حيث يقول (قيد الأوابد)، فجعله يدرك الوحش إدراك المطلق للمقيد، وأبرز الثاني في صورتي وصف وتشبيه بغير أداة، إذ شبه عدوه بعد جريه شوطين، وعرقه بهزيز الريح، تمر بهذا الشجر الذي يُسمع للريح فيه هزيز كحفيف الفرس الحادّ إذا خرق الريح بشدة عدوه، فكل معنى من هذين المعنيين مشاكل لصاحبه، إذ الجامع بينهما وصف الفرس بشدة العدو، غير أن قدرة الشاعر تلاعبت به فأبرزته في صورة مختلفة، فهذا ما شاكل الشاعر فيه نفسه...»، والذي قدّمه ابن أبي الأصبع هو ما يسمى

بالمشاكلة المعنوية، والتي يكون التوافق فيها في المعنى أما الصورة فلا يهم إن اتفقت أو اختلفت وهي تنقسم إلى قسمين، الأول وهو الذي يشاكل فيه الشاعر نفسه وهو الذي تقدم، أما الثاني: وهو أن يشاكل غيره كقول جرير [من البسيط]:

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانـا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهنّ أضعف خلق الله أركانا

فإن مشاكله قول عدي بن الرِّقاع : [كامل].

وكأنها بين النساء أعارتها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان اقصده النعـــاس في عينه سنـة وليس بنائم

فالمشاكلة بين الرجلين من جهة أن كلا منهما وصف العيون بالمرض والفتور فأبرز معناه في صورة غير الصورة الأخرى بحسب قوة عارضته في السبك، وحسن اختياره اللفظ، وجودة ذهنه في الزيادة والنقص في التفضيل بين هذين الشعرين: شعر جرير، وعدي بحيث لا يسعه هذا المكان»(lxxvi).

وفي الختام فقد بينا مابين المشاكلة والأساليب البديعية الأخرى التي التبست بها عند البلاغيين القدامى، من فروق تجعلنا في حيرة من أمرهم، فعلى الرغم من التداخل بين المشاكلة وهذه الأساليب إلا أن الفصل ما بينها بين وواضح ، وهو مسألة المغالطة التي توقعها المشاكلة بسبب العدول في استعارة اللفظ لمعنى جديد غير متوقع .والعجيب هو إدراك القدامى لذلك جيدا وإسهابهم في توضيحه بالأمثلة المتنوعة لكن دون أن يحاولوا ضبط ذلك بقانون يميز الحقل الدلالي الذي تشتغل فيه المشاكلة.ماعدا السكاكي كما رأينا .

الهوامش:

(*)–عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة، دط، 1998، ص166.

(i)–السكاكي، مفتاح العلوم.تحقيق وتقديم عبدالحميد هنداوي، دارالكتب العلمية ، بيروت – لبنان ط2000،1 م،ص533.

(ii)–أبو علي الفارسي، الحجة للقراءات السبعة. ، تحقيق بدر الدين قهوجي و بشير حويجاني ، دار المأمون للتراث ، بيروت ط1 1404هـ 1984م، ط14132هـ1993م ج1،ص316،315.

(iii)– ينظر أبو عبيدة: مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت ،ج1، هامش ص31..و ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، جامعة أم القرى، مطبعة المدني، ط1، 1413هـ–1992م، ج1، ص63–64.

(iv)–الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، دط، 1968، ج1، ص96.

(v)–المصدر نفسه، ج1 ص97.

(vi)–المصدر نفسه،ج3، ص35.

(vii)–المبّرد، الكامل، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ،ط1، 1424 هـ2003م ،ص373.

(viii) – ينظر خلود العموش ، الخطاب القرآني ،دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، عالم الكتب الحديث ، إربد –الأردن ،دط،2008،ص62.

(ix) – ابن طباطبا ، عيار الشعر ،شرح وتحقيق ،عباس عبد الساتر ، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط2 ،1426هـ2005م،ص129.

(x) – المصدر نفسه ،ص 129.

(xi) – الرماني ،النكت في القرآن ضمن ثلاث رسائل ، تحقيق خلف الله سلام ، دارالمعارف مصر ،دط، 1967 م،ص97.

(xii) – أبو هلال العسكري ، الصناعتين : الكتابة والشعر ، تحقيق مفيد قميحة ،دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان،ط2، 1409هـ1989م،ص285.

(xiii) – منير سلطان ،البديع تأصيل وتجديد منشأة المعارف الإسكندرية، دط 1986،ص93.

(xiv)–الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، دط، دت، ج1، ص116–117. ومحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدار العربية للموسوعات ط1، 1427، 2006م ،ج3، ص258.

(xv)–المصدر نفسه، ج1، ص97.

(xvi)–أحمد سعيد محمد: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1418هـ–1998م، ط2، 1421هـ=2000م، ص492.

(xvii)– ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تعليق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت– لبنان /ط1432،1هـ2002م،ص171.

(xviii)–ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي سكر. مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط1، 1389-1969، ج5، ص97.

(xix)–الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص99.

(xx)–السكاكي ، مفتاح العلوم ،ص534.

(*)أخطأ صاحب كتاب ، البديع تأصيل وتجديد حينما اعتبر أن المشاكلة في بيت البحتري قد وقعت في كلمة لجّ بمعنى اشتد واضطرم فقد استعملها الشاعر في موضعين ، الأول هو اضطرام نار الهوى أي الشوق والوجد .والثاني اشتداد نار الهجر وألم البعاد .وكما يقول :هنا جاءت المشاكلة لتستفرغ طاقة لفظ اللجّ وهذا ليس المشاكلة وإنما هو الترديد الذي يعني أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردها بمعنى آخر ينظر منير سلطان ، البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف – الإسكندرية ،دط، 1968،ص102

[xxi]-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز شرح وتعليق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط3، 1420هـ-1999م، ص87.

[xxii]-الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص99-100.

[xxiii] - الباقلاني ، اعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية ، تعليق أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ،ط1421،1هـ2001،ص170-171.

[xxiv] - ابن رشيق ، العمدة، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية،صيدا - بيروت،دط،1425هـ2004م، ج1، ص286.

[xxv] - المصدر نفسه، ج1، ص287.

[xxvi] - عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر، نظرات في علم البديع، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1416هـ1995م، ص153.

[xxvii] - الخطيب التبريزي ، الوافي في العروض والقوافي ،ص269، نقلا عن معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص295.

[xxviii]-المصدر نفسه، ج1، ص291.

[xxix] - ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ،تقديم وتحقيق، حنفي محمد شرف، القاهرة دط،1416هـ1995م،ص393-394.

[xxx] - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد الاسكندراني ،وم،بمسعود، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1418هـ1998م، ص21، 22.

[xxxi] - الزجاج معاني القرآن واعرابها ، ج1،ص56،نقلا عن البديع تأصيل وتجديد،ص95

[xxxii] - المرتضى ،الأمالي في التفسير والحديث والأدب ،تعليق محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، مطبعة السعادة - مصر ،ط1، 1425هـ1907م ،ج4 ،ص56.

[xxxiii] - المصدر نفسه، ج4، ص59.

[xxxiv] - أسامة بن منقذ ،البديع في نقد الشعر ،تحقيق وتقديم عبد العلمية ،بيروت-لبنان،ط1407،1هـ1987مص،165.

[xxxv] – الجاحظ، البيان والتبيين ،ج2،ص106.

[xxxvi] – التفتزاني، المطول شرح تلخيص المفتاح ،بهامش حاشية سيد شريف، المكتبة الأزهرية للتراث، دط، 1330هـ،ص455

[xxxvii]–ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق وضبط عمر فاروق الطباع مكتبة المعارف ، بيروت–لبنان،ط1414،1هـ1993م،ص231.

[xxxviii] – المصر نفسه، ص232،231.

[xxxix] – المصدر نفسه ،ص 97، 98.

[xl] – السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،شرح فؤاد علي منصور ،دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1418هـ1998، ص 270 ،271.

[xli]–السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1401هـ–1980م، ص402.

[xlii]–المصدر نفسه، ص477.

[xliii]–ابن المعتز، البديع، تعليق وفهرسة ،اغناطيوس كراتشفوقسكي، دار المسيرة ط1402،3هـ1982م،ص47.

[xliv]–أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، ص 424.

[xlv]–المصدر نفسه، ص423.

[xlvi]–عبد القاهرة الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص180.

[xlvii]–أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، ص 371.

[xlviii]–المصدر نفسه، ص 371.

[xlix]–الشريف الرضي، تلخيص مجازات القرآن ،نقلا عن نظرات في علم البديع،ص154.

[l]–الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة ،بيروت لبنان، ط1426،2هـ2005م هامش ص45.

ص45.

[li]-ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ،بيروت -لبنان ،ط1419،1هـ1998م،ص257،256.

[lii]-العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ،دار الكتب العلمية - بيروت ،دط دت ،ج2 ص387

[liii]-ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ط21، 1408-1988م، ،ص222.

[liv]-أبو حيان الغرناطي، البحر المحيط، دار الفكر ،بيروت- لبنان ،دط،1425هـ2005م،ج1،ص93

[lv]-ابن كثير، التفسير ،دار الدعوة الإسلامية ط1424،2هـ-2004م،ج2،ص61.

[lvi] - أبو علي الفارسي ،الحجة للقراءات السبعة ،ج1، ،ص315، 316.

[lvii] - عبد الجبار ، تنزيه القرآن عن المطاعن وبآخره مقدمةفي التفسير للراغب الأصفهاني ،دار طلاب المعرفة ،دط، دت ،ص 184-185.

[lviii] - الزمخشري ، الكشاف ،ج1،ص65

*- ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي،ص 420.

[lix]-السكاكي، مفتاح العلوم، ص533.

[lx] - ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص165.

[lxi] - محمد بن علي الجرجاني ، الاشارات والتنبيهات ،تحقيق عبد القادر حسين ، مكتبة اللآداب دط،1418هـ1997م، ص242.

[lxii] - المصدر نفسه ، ص 243.

[lxiii] - المصدر نفسه، ص 244.

[lxiv] - القزويني ، ايضاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ، دط،دت،360.

[lxv] - المصدر نفسه ، ص 360.

[lxvi] – صفي الدين الحلي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع ،تحقيق نسيب نشاوي ، دار صادر ،دمشق ،ط1402،1هـ1982م،بيروت ط2، 1412هـ1992م،ص181.

[lxvii] – السكاكي : مفتاح العلوم ،ص 435.)

[lxviii] – المصدر نفسه ،ص 463.

[lxix]– بهاء الدين السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية

بيروت– لبنان ،ط1423،1هـ2003م ،ج2،ص237.

[lxx]–المصدر نفسه، ص238.

[lxxi]–ينظر : المصدر نفسه، ص239.

[lxxii]–عب

د السلام الأشقر، نظرات في علم البديع، ص175.

[lxxiii]–عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، دط، 1367هـ–1947م، ج1، ص252–253.

[lxxiv]–ابن معصوم المدني ، أنوار الربيع في أنواع البديع، ج5،ص284.

[lxxv] – المصدر نفسه , ج5،ص 286 –287 .

(*)–سمى ابن أبي الأصبع المشاكلة تعطفا، وقد جاء في هامش تحرير التحبير مايلي: «والحقيقة أن الترديد والمشاكلة والتعطف --على رأي من سماه بهذا الاسم– نوع واحد، والخلاف بين هذه التسميات: أن الترديد هو ترديد الكلمتين في مصراع واحد، أو في جملة واحدة، والتعطف أو المشاكلة هو ترديدها في مصراعين وأ ن واحدا يطلق عليه اسم واحد ما دام المعنى متفقا». تحرير التحبير، ص257.

[lxxvi]–المصدر نفسه، ص395.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص

1/ المصادر

(1)-أبو حيان الغرناطي، البحر المحيط، دار الفكر ،بيروت- لبنان ،دط،1425هـ2005م،ج1.

(2)-أبو عبيدة: مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت ،ج1،

(3)-أبو علي الفارسي، الحجة للقراءات السبعة. ، تحقيق بدر الدين قهوجي ، بشيرحويجاني ، دار المأمون للتراث ، بيروت ط1 1404هـ 1984م، ط14132هـ1993م ج1.

(4)- ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ،تقديم وتحقيق، حنفي محمد شرف، القاهرة ، دط،1416هـ1995م .

(5)-ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ،بيروت -لبنان ،ط1419،1هـ1998م .

(6)-ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، جامعة أم القرى، مطبعة المدني، ط1، (1413هـ-1992م)، ج1.

(7)-ابن رشيق ، العمدة، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية،صيدا - بيروت،دط،1425هـ2004م، ج1.

(8)- ابن طباطبا ، عيار الشعر ،شرح وتحقيق ،عباس عبد الساتر ، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط2 ،1426هـ2005م.

(9)-ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق وضبط عمر فاروق الطباع مكتبة المعارف ، بيروت-لبنان،ط1414،1هـ1993م.

(10)- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تعليق ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان /ط1432،1هـ2002م.

(11)-ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ط21، 1408-1988م .

(12)-ابن كثير، التفسير،دار الدعوة الإسلامية ،ط1424،2هـ-2004م،ج2

(13)-ابن المعتز، البديع، تعليق وفهرسة ،اغناطيوس كراتشفوفسكي، دار المسيرة ط1402،3هـ1982م

(14)-ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط1، 1389-1969، ج5.

(15)- أسامة بن منقذ ،البديع في نقد الشعر ،تحقيق وتقديم عبد العلمية ،بيروت-لبنان،ط1407،1هـ1987م .

(16)- التفتزاني المطول شرح تلخيص المفتاح ،بهامش حاشية سيد شريف، المكتبة الأزهرية للتراث، دط، 1330هـ.

(17) - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية ، تعليق أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ،ط1421،1هـ2001 .

(18)- بهاء الدين السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية
بيروت- لبنان ،ط1423،1هـ2003م ،ج2 .

(19)- الجاحظ، البيان والتبيين ، دار الفكر للجميع، دط، 1968، ج1 ج2 .

(20) - الرماني ،النكت في القرآن ضمن ثلاث رسائل ، تحقيق خلف الله سلام ، دارالمعارف مصر ،دط، 1967 م .

(21)-الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة ،بيروت لبنان، ط1426،2هـ2005م.

(22)-السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، ط1، 1401هـ-1980م.

(23)-السكاكي، مفتاح العلوم.تحقيق وتقديم عبدالحميد هنداوي، دارالكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط2000،1 م.

(24) - السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،شرح فؤاد علي منصور ،دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط1، 1418هـ1998 م .

(25) - صفي الدين الحلي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع ،تحقيق نسيب نشاوي ، دار صادر ،دمشق ،ط1402،1هـ1982م،بيروت ط2، 1412هـ1992م.

[26]-الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، دط، دت، ج1.

[27] - القزويني ، ايضاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ، دط،دت .

[28] - عبد الجبار ، تنزيه القرآن عن المطاعن وبآخره مقدمةفي التفسير للراغب الأصفهاني ،دار طلاب المعرفة ،دط، دت .

[29]-عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، دط، 1367هـ-1947م، ج1.

[30]- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد الاسكندراني ،وم،بمسعود، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1418هـ1998م .

[31]-العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ،دار الكتب العلمية - بيروت ،دط دت ،ج2 .

[32]-المبّرد، الكامال، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ،ط1، 1424 هـ2003م

[33] - محمد بن علي الجرجاني ، الاشارات والتنبيهات ،تحقيق عبد القادر حسين ، مكتبة اللآداب دط،1418هـ1997م

[34]- المرتضى ،الأمالي في التفسير والحديث والأدب ،تعليق محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، مطبعة السعادة - مصر ،ط1، 1425هـ1907م ،ج4 .

2/ المراجع:

[1]-أحمد سعيد محمد: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1418هـ-1998م، ط2، 1421هـ-2000م.

[2] - خلود العموش ، الخطاب القرآني ،دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، عالم الكتب الحديث ، اربد -الأردن ،دط،2008.

[3] - عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر، نظرات في علم البديع، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1416هـ1995م.

[4] - محمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدار العربية للموسوعات ط1.

[5]- منير سلطان ،البديع تأصيل وتجديد منشأة المعارف ، الإسكندرية، دط ،1986 .